
كتاب التوحيد
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله -
شرح فضيلة الشيخ
رزق بن حامد القرشي
- حفظه الله تعالى -
ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِين وأصَلِّي وأسلِّم على المَبْعُوث رَحْمَةً للعَالَمِين نبِيِّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فقد وصلنا إلى الباب السادس وهو:

"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"

وقول الله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [2]

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [4]

وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، ودَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -) [5]

---

[1]) سورة الإسراء ، الآية : 57

[2]) سورة الزخرف ، الآيتان : 26 - 27

[3]) سورة التوبة ، الآية : 31

[4]) سورة البقرة ، الآية : 165

في هذا الباب من الآيات ما استدل به الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، فبدأها بقوله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [6]

ومعنى قوله : ﴿ يَدْعُونَ ﴾ : أي يعبدون ، وهذا دليل على أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها إلّا لله.

ومعنى أيضًا ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : أي يطلبون ، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : أي يطلبون إلى ربهم.

ومعنى ﴿ الْوَسِيلَةَ ﴾ : القربى بالطاعة والعبادة ، ولا يجوز في عبادة الله - عز وجل - اتخاذ وسيلة غير التي شرعها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من العبادات والدعاء وغير ذلك مِمَّا ثبت عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ وهذا دليل على أن الوسيلة عبادة ، ومَنْ غَيَّر العبادة وغَيَّر هذه الوسيلة واتخذ وسائل غير مشروعة فإن ذلك لا يفيده.

ومعنى قوله : ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ : معنى ﴿ أَقْرَبُ ﴾ : أقرب المدعوين إلى ربهم وأفضلهم ، أولئك الذين يعبدون الله ويتقربون إليه بالطاعات وبالدعاء ولا يخترعون مخْتَرَعَات .

ومعنى ﴿ مَحْذُورًا ﴾ ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ ، معنى ﴿ مَحْذُورًا ﴾ : يحذره ويحترس منه المؤمن ، فلا يأتي من الأمور ما يكون سببًا في عذابه وغضب ربه عليه ، بل يأتي من الأمور المشروعة ؛ من الأدعية المشروعة ، والعبادات المشروعة ، والوسائل المشروعة التي تقربه إلى الله - عز وجل - ، ففي هذه الآية يخبرنا الله - سبحانه وتعالى - أن هؤلاء الذين يعبدهم المشركون مع الله - عز وجل - من الملائكة والصالحين ؛ هم أنفسهم يطلبون التقرب إلى الله بالطاعة والعبادة ويمتثلون أوامره رجاء رحمته ، ويجتنبون نواهيه خوفا من عذابه ؛ لأن عذابه يخشاه ويحذره كل مؤمن.

---

[5]) الراوي:طارق بن أشيم الأشجعي ، المحدث:الألباني ، المصدر:صحيح الجامع ، الجزء أو الصفحة:6438

[6]) سورة الإسراء الآية 57

-فكيف تعبدهم وهم يعبدون الله - عز وجل - ويرجون الله - عز وجل - ؟!!

وهذا دليل على أنهم لا ينفعون أحد ولا يجلبون نفعا ولا يدفعون ضرا ، فأنت تصرف ما هو لله لهؤلاء الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم من الصديقين والشهداء ؛ هذا هو - يعني - دليل على عدم العقل ، على عدم العقل والتفكُّر في آيات الله – عز وجل – التي تَنهَى عن عبادة غير الله - سبحانه وتعالى. -

-وفي الآية فوائد:

-أولها : بطلان عبادة المشركين لغير الله ؛ بكون معبوديهم أنفسهم يطلبون القربى من الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

ومنها : صلاح المعبودين لا يُبرزُ الشرك بهم ، مهما عَظُمَ صلاح المعبودين لا يجوز لك أن تعبدهم من دون الله ! فصلاحهم لأنفسهم ، وأمَّا أن تشرك بهم فهذا أمرٌ مرفوض وهو شركٌ بالله - عز وجل - ، لا الأنبياء ولا الملائكة ولا الصالحين ولا الشهداء ولا الصِّدِّقِين ولا أحد مهما بلغ صلاحه أن يكون هذا الصلاح مبررًا لأن تدعوه من دون الله ، أو ترجوه من دون الله ، أو تسأله من دون الله ، أو تطلب منه ما لا يقدر عليه إلَّا الله.

-ومنها أيضًا من الفوائد : إثبات صفة الرحمة لله - عز وجل - ، وقد تقدّم معنا في دروسٍ مضت عقيدة أهل السنَّة والجماعة في الأسماء والصفات.

-ومنها أيضًا : يسير المؤمن إلى الله بين الخوف والرجاء إلَّا في حالة الاحتضار فيُقوِّي جانب الرجاء.

ولذلك تدل هذه الآية على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ؛ هو ترك ما عليه المشركون من دعاء الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم إلى الله ، وأنه لا يكفي النطق بالشهادة ما لم يَكفُر بكل معبودٍ سوى الله ، والآيات غير هذه الآية أيضا تدل على ذلك.

-وقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [7]: إبراهيم – عليه السلام – كان يتبرَّأ من تلك المعبودات التي يعبدها أقاربه ، بل وأبوه وعشيرته ، كانوا يعبدون تلك المعبودات وهو يتبرَّأ إلى الله منها ، فيقول : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ ؛ فتبرَّأ - عليه السلام - من جميع المعبودات إلَّا معبودًا واحدًا ؛ وهو الله - سبحانه وتعالى. -

فلا بد أن تتبَّرأ أخي المسلم من جميع المعبودات التي تُعبَد من دون الله.

ومعنى قوله : ﴿ بَرَاءٌ ﴾ : أي متبرئٌ من معبوداتهم .

ومعنى قوله : ﴿ فَطَرَنِي ﴾ : أي خلقني ، معنى﴿ فَطَرَنِي ﴾ في هذه الآية : أي خلقني .

ومعنى قوله : ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ : أي يوفقني ؛ وهذا هداية التوفيق ، فليست لأحد إلا لله - سبحانه وتعالى. -

ولذلك أهل العلم يقولون بأن الهداية تنقسم إلى قسمين:

-هداية توفيق : وهذه لله – سبحانه وتعالى – ،و من أراد أن يُوفِّق إنسانًا لخير أو شر فإن ذلك شرك بالله - عز وجل - ، فهداية التوفيق بيد الله - سبحانه وتعالى - لا يستطيع أن يُوفِّق أحدٌ أحدًا سواء لخير أو لشر أبدًا .

-وأمَّا القسم الثاني : فهو هداية البيان والإرشاد والدلالة والدعوة : فكل هذه من تعلم دين الله – عز وجل – وعرفه عن طريق العلم الصحيح فعليه أن يدعو الناس وأن يبين للناس ، وأن يبين لهم الطريق الصحيح الذي يعبدون الله - عز وجل - به ، فمن شاء الله - عز وجل - وفقه ، ومن شاء حال بينه وبين التوفيق.

[7]) سورة الزخرف [الآيتان 26-27]

ففي هذه الآية أيضًا يخبرنا - سبحانه وتعالى - أن رسوله وخليله إبراهيم - عليه السلام - قد أخبر أباه وقومه أنه بريء من جميع معبوداتهم ، إلَّا معبودًا واحدًا وهو الله الذي خلقه ، والذي يَقدِر على توفيقه وبيده نفعه وضره.

-وفي هذه الآيات من الفوائد :

- أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد.

-ومنها أيضًا : الجهر بالحق من صفات المرسلين ، وهنا نقول للدعاة أن تجهروا بالحق في كل مكان ، بعض الناس يجهر بالحق حيث لا يكون قرابة ولا يكون في قومه ؛ ففي قومه يلتمس لهم المبررات على أفعالهم المخالفة حتى ولو كانت شرك ، وفي الناس يصدع ، هذا لا أبدًا مهما كان القريب من أشرك بالله أو ظهر عليه مخالفة لله – عز وجل – فلا بد أن تصدع بالحق ، وأن تبين للناس الحق على ما أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في طريقته وفي دعوته للناس وبيان الحق للناس.

-ومنها أيضًا : وجوب إنكار المنكر ولو كان على الأقربين ، بل قد يكون واجبًا عليك الإنكار على الأقربين ؛ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [8]- نعم - فلذلك بعض الناس يسافرون ويذهبون إلى أماكن كثيرة ويدعون الناس وتجد في أقاربهم على أكثر من ما عند الناس من المخالفات ويتركونهم.

-ومنها أيضًا : وجوب البراءة من الشرك ؛ لا بد أن تتبرأ من الشرك ، والآيات تدل على ذلك ، منها هذه الآية قول إبراهيم : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [9] ، ومنها : قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ [10]

فلذلك البراءة من الشرك مُقدَّمةٌ على إثبات التوحيد ، والآيات تدل على ذلك ، ولذلك من تبرأ من الشرك فلا بد أن يوحد الله - عز وجل. -

[8]) سورة الشعراء الآية 214
[9]) سورة الزخرف الآية 26
[10]) سورة البقرة الآية 256

-ومنها أيضًا : بيان أن قوم إبراهيم يعبدون الله ولكنهم يشركون معه ؛ وهذا أمرٌ جعلهم بعيدين تمامًا عن التوحيد ؛ فالتوحيد لا بد أن يكون العمل خالصًا لله – عز وجل –لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد تشركه مع الله – عز وجل – في العبادة ؛ بل تخلص العبادة لله – عز وجل. -

-ومنها أيضًا : أن هداية التوفيق خاصة بالله – عز وجل – ليس لأحد فيها شيء.

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [11]

ومعنى قوله : ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ : أي جعلوا ؛ جعلوا من دون الله أربابا.

و﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ : علماؤهم.

و﴿ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ : العباد ، عبادهم.

﴿ أَرْبَابًا ﴾ : معبودين من دون الله.

﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ : هو عبد الله ورسوله عيسى - عليه السلام. -

قال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ : أمرهم الله على ألسنة رسله.

-أمرهم بماذا ؟

بأن يعبدوا الله – عز وجل – ويتركوا عبادة ما سواه.

ومعنى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ : تنزيهٌ وتقديسٌ عمَّا يُدَّعى معه من النظراء والأنداد والأضداد ، فلا بد أن تُخلِّص عبادتك ها من النظراء والأنداد والأضداد ، فتكون العبادة خالصة ، وهذا تنزيه لله – عز وجل - ، فيخبرنا – سبحانه وتعالى – أن اليهود والنصارى قد انحرفوا عن الصراط السوِّي ، وأتوا ما لم يأمروا به فاتخذوا علمائهم وعبَّادهم آلهة لهم يعبدونهم من دون الله ؛ وذلك أنهم يطيعونهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحلَّ

[11]) سورة التوبة الآية 31

الله فيشركون معه في التشريع ولم يكتفِ النصارى بذلك بل عبدوا عيسى - عليه السلام - واعتبروه اِبنًا لله ، ولم يُأمرُوا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله وحده - فتعالى الله وتنزَّه عمَّا ينسبه إليه المشركون . -

-وفي هذه الآية فوائد :

-أن طاعة غير الله في مخالفة أحكام الله من الشرك ، وهذا قد يقعُ فيه كثير من الناس إلا رحم الله - عز وجل - ، فبعض الناس عندهم مخالفة شديدة في هذا الباب ، وذلك أنه يستسلم للعلماء كل الاستسلام ، وينفذ كل ما يقولونه حتى ولو خالفوا شريعة الله .

-لمـــاذا ؟

لأن العالم ليس معصوم ، قد يخطئ ، فاتباعك لخطئه وتعصبك لخطئه شبهٌ بأولئك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

فلذلك لا بد للإنسان أن يكون حذرًا ، وأن يعرض ما يسمعهُ من أقوال العلماء على الكتاب والسُنَّة ، وأن يبحث ويجتهد في التعلُّم ، ولا يستسلم لكل قول ؛ الاستسلام المطلق لقول الله - عز وجل - ولقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، أمَّا العلماء فيُؤخذ منهم ما وافق الكتاب والسُنَّة ويُردَ عليهم ما خالفوه.

-ومنها أيضًا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- ومن الفوائد أيضًا : لا يُعتبر العمل صالحًا إلا بشرطين ؛ الإخلاص لله والمُتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، حيثُ قال : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [12]

-ومنها : عدم العصمة للعلماء ؛ وهذا يقع فيه كثير من طلبة العلم إلَّا من رحم الله ، وإن كانوا لا يُصرِّحون بالعصمة ، ولكنهم يجمدون على أقوال

[12]) حسنه الألباني في سنن الترمذي

العلماء ، وهذه من المصائب التي بُلِيَ بها كثيرٌ من طلبة العلم إلَّا من رحم الله .

فالتعصب للعلماء دليل على أن أولئك لم يعرفوا ولم يؤمنوا تمامًا أن هذا العَالِمُ مُعرضٌ للخطأ ، وقوله معرضٌ للخطأ ، فهنا الجمود على أقوال العلماء مصيبة ، ولو لم يصرحوا بعصمتهم.

وبعضهم يقول : أأنت أعرف من الشيخ ؟

تقول : قال الله قال الرسول.

قال : أنت أعلم منه ؟ !!

ألا يعلم قال الله وقال الرسول ؟!!

و هذه من البلايا ومن عدم الفقه.

-ومنها أيضًا : بيان انحراف اليهود والنصارى عن دينهم الصحيح ،

فكما دب الانحراف في اليهود و النصارى عن أديانهم السماوية التي نزلت ، أيضًا هناك من المسلمين من انحرف عن دين الإسلام الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وآله سلم. -

وأسباب الانحراف كثيرة:

-منها : اِتباع العلماء بغير دليل.

-ومنها : التعصب المذهبي.

- ومنها : التسليم لأقوال الرجال.

-ومنها أيضًا : خطر العلماء الضالين على الأمة ، العلماء لا بد لهم أن يُعلِّمُوا الناس أن هذا الدين أساسه التوحيد ، ويُعلِّمُوا الناس سنة النبي - صلى الله عليه و سلم - ، وأن لا يتقربوا إلى الله إلا بسنة النبي - صلى الله عليه و سلم -

، ويُعلِّمُوا الناس أنهم وإن كانوا علماء إلَّا أنهم معرضون للأخطاء ، ولا يجعلوا الناس يتعصبون لهم ، بل يحذرون الناس من ذلك.

و في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [13]

ومعنى ﴿ الأنداد ﴾: أي النظراء .

وقوله : ﴿ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ : يساوونه في المحبة مع الله ، يساوونه في المحبة مع الله.

﴿ أَشَدُّ ﴾ : أعظم وأقوى ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

ومعنى قوله ﴿ ظَلَمُوا ﴾ : أي ظلموا في الدنيا بشركهم ؛ وهذا دليل على أن الشرك ظلم ، فيجب أن تتجنب هذا الظلم ، وأن تعبد الله - عز وجل - ، فهو ظلم لنفسك وأنت تظلم نفسك حين أن تعبد غير الله ، تظلم نفسك حين أن تشرك مع الله ، تظلم نفسك حين أن تَشرَع عبادة ما شرعها الله ، تظلم نفسك حين أن تخترع في العبادات ما لم يأتِ به النبي - عليه الصلاة و السلام - ؛ كل ذلك ظلمٌ للنفس.

وقوله : ﴿ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ : يبصرون عذاب الله يوم القيامة ؛ فهنا لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل ! هناك انتهى العمل !

فإذا نظرت في ذلك اليوم تبصر حقيقة ما أُنذِرتَ منه في الدنيا ، تبصر حقيقة ما جاء في كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – من النذارة والبشارة وغير ذلك من المأمورات والمنهيات ، تبصرها عيانًا وترى ذلك بعينك.

وفي هذا يخبرنا الله - سبحانه وتعالى - أنّ بعض الناس ينصبون لهم أصناما يحبونهم كحبِّ الله ، ثم بيَّن سبحانه أن المؤمن أقوى حبًّا لله من المشركين

---

[13]) البقرة [الآية : 165]

في المحبة ؛ وذلك أن المؤمنين خالص حبهم لله ، وأن المشركين متفرقٌ حبهم بين الله وأصنامهم ، ومن كان حبه خالصًا لله كان حبه لله أقوى مِمَّن كان حبه مشتركًا بين محبة الله ومحبة أصنامهم .

ثم يتوعد الله - سبحانه وتعالى - هؤلاء المشركين ويبين لهم أنهم حينما يرون ويبصرون العذاب يوم القيامة حالًّا بهم سيتمنون أنهم لم يشركوا مع الله غيره لا في محبة ولا في غيرها ، وسيعلمون علم اليقين أن القوة كلها لله وأن الله شديد العذاب .

-وفي هذه الآية من الفوائد :

- أن المحبة نوع من أنواع العبادة ؛ ولذلك ابن القيم يذكر أن العبادات تدور تحت أربعة أمور :

المحبة والدعاء والرجاء والخوف ، جميع العبادات تدور حول هذه الأمور ؛ فلذلك قال في نونيته :

"والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند أيا كان من حجر ومن إنسان

تدعوه أو ترجوه ثم تخافه و تحبه كمحبة الديان"

هذه الأمور ضروري أن تُخلَص لله - عز وجل - ، وهذه المحبة والخوف والرجاء والدعاء هذه من أعظم أنواع العبادات ؛ لأن جميع العبادات تدور حولها ، فلذلك لا بد من الإخلاص هنا.

-ومن الفوائد أيضًا : إثبات أن المشركين يحبون الله ؛ لكن هذا لم ينفعهم لوجود الشرك فيه ، يحبون الله ويشركون معه ، فهذا ما يستقيم أبدًا ، لا بد أن يكون الحب لله – عز وجل – خالص.

-ومنها أيضًا : نفي الإيمان عمَّن أشرك مع الله في المحبة.

-ومنها أيضًا : إثبات صفة القوة لله – عز وجل – وكمالها.

وفي هذا دليل أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو : إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة جميعها لله.

وفي الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (مَنْ قَالَ لا إله إلَّا اللَّهُ ، وكَفَرَ بِمَا يُعبَد مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىَ اللَّهِ - عَزّ وَجَلّ -) [14]

قوله : (مَنْ قَالَ لَا إله إلَّا اللَّهُ) : أي نطق بها وعرف معناها وعمل بمقتضاها ، فكم من الناس الذين يقولون " لا إله إلا الله " وهم لا يعرفون معناها فضلًا عن أن يقعوا في نواقضها ؛ فلذلك لابد أن تعرف ما معنى " لا إله إلا الله " ، فإذا عرفت المعنى فإن ذلك - بإذن الله عز وجل - يقودك على ألّا تقع فيما يناقضها.

قال : (وكَفَرَ بِمَا يُعبَد مِنْ دُونِ اللَّهِ) : أنكر كل معبودٍ سوى الله بقلبه ولسانه ؛ لأن المنافق يعترف بلسانه وينكر بقلبه ، أمَّا المؤمن فيتفق لسانه وقلبه ؛ فيعتقد بقلبه الإيمان الصحيح وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه ، هذا هو المؤمن وهذا هو الإيمان الصحيح.

قال : (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ) : حرُم أخذ ماله وحرُم قتله ، من قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

قال : (وَحِسَابُهُ عَلَى الله) : أي يتولى حسابه يوم القيامة فإن كان صادقًا أثابه ، وإن كان منافقًا عذبه .

فليس لك أن تشق عن قلب من قال : " لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله "

هل أنت صادق أو لست صادق ؟

هذا ليس أمرك ؛ فهذا يُوكَل أمره إلى الله - عز وجل - ، إنما يؤخذ منه ظاهره ، ما ظهر على لسانه ، وتُوكَل سريرته إلى الله - عز وجل - .

[14]) الراوي : طارق بن أشيم الأشجعي | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج المسند .

ففي هذا الحديث أن من شهد أن لا إله إلا الله وأنكر بقلبه ولسانه كل معبودٍ سواه فإنه يُحرَم على المسلمين أخذ ماله إلا ما أوجبه الشرع ؛ كالزكاة ، ويُحرَم سفك دمه إلا ما أوجبه الشرع ؛ من زنًى بعد إحصان ، أو كفرٍ بعد إيمان ، أو القصاص ، وإن محاسبته على سريرته متروكةٌ إلى الله يوم القيامة ، فإن كان صادقًا أثابه وإن كان كاذبًا منافقًا عاقبه.

-وفي هذا الحديث من الفوائد:

-أولًا : فضيلة الإسلام حيث يعصم دم معتنقه وماله ، يعصم ماله ودمه ، فهذه من فضائل الإسلام.

-ومنها : وجوب الكف عن الكافر إذا دخل الإسلام ، ولو في أثناء القتال حتى يُعلَم منه خلاف ذلك ؛ وما قصة ذلك الرجل الذي قتله زيد بن حارثة منا ببعيد .

-ومنها : أن الشخص قد يقول " لا إله إلا الله " ولا يكفر بما يعبد من دون الله ؛ فهنا لا تنفعه تلك الشهادة.

-ومنها : أن شروط الإيمان النطق بلا إله إلا الله والكفر بكل ما يُعبَد من دون الله.

-ومنها : أن الحكم في الدنيا على الظاهر فليس لنا أن ندخل في السرائر.

-ومنها أيضًا : تحريم أخذ مال المسلم إلَّا ما وجب في أصل الشرع ؛ كالزكاة أو تغريمه ما أُتلَف ، أمَّا ما عدا ذلك فلا يؤخذ ، بل أخذه ظلم .

نكتفي بهذا القدر ، ونسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم للطاعة وأن يثبتنا على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.